Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 2, Issue 4 (2023) • P: 41 - 32
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

Covenant "Lam" and Gender "Lam" in the Holy Quran in light of Al-Baydawi's interpretation: Linguistic study of selected words

Dr. Mkhled Salman Obid Al-Maaitah
Ministry of Education | Jordan

Received: 28/03/2023
Revised: 09/04/2023
Accepted: 19/05/2023
Published: 30/09/2023

* Corresponding author: mkledmaaitah32@gmail.com

Citation: Al-Maaitah, M. S. (2023). Covenant "Lam" and Gender "Lam" in the Holy Quran in light of Al-Baydawi's interpretation: Linguistic study of selected words. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 2*(4), 32 – 41. https://doi.org/10.26389/AJSRP.E280323

2023 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: Gender and covenant "Lam"s are linguistic issues with contextual significance related to meaning. Therefore, their significant impact is evident in clarifying the contextual meaning of Quranic linguistic terms. We do not deny the difference between them, as pronunciation may change and carry contextual semantic loads in a set of factors, such as phonetic connotation, such as prefixes and suffixes of words, or contextual connotation and tools, such as demonstrative nouns, conjunctions, and verbs, or phonemic consonants, such as the letter هـ "ha'" when connected to words, and the letter و "waw" and them هم / هما "Homa" / "Hom" and others. There is no doubt that building pronunciation on linguistic roots in dictionaries has increased the capacity to comprehend meaning based on its morphological and lexicographical structure, such as the words الناس "people" and الكافرون "disbelievers". Through this linguistic study, we attempt to uncover the capacity of pronunciation in collaboration with the meaning in general and gender "Lam" connotation, and to reveal the links between function words, verbs, and others in increasing the comprehensibility of the desired meaning."

Keywords: Gender "Lam" and covenant "Lam", Semantic context, Semantic uses of function words.

لام العهد ولام الجنس في القرآن الكريم في ضوء تفسير البيضاوي: دراسة لغوية لكلمات مختارة

الدكتور / مخلد سلمان عبيد المعايطة
وزارة التربية والتعليم | الأردن

المستخلص: لام الجنس ولام العهد من المسائل اللغوية ذات الدلالة السِّياقية المرتبطة بالمعنى، ولذلك كان الأثر الكبير لهما في بيان دلالة السِّياق للمفردات اللغوية القرآنية، ولا ننكر الفارق بينهما، فاللفظ قد يتحور ويحمل أحمالا دلالية سياقية في مجموعة من العوامل، كالقرينة اللفظية كالسَّوابق واللواحق من الألفاظ، أو قرينة السِّياق والأدوات، أسماء الإشارة والموصولات، والأفعال، أو الفونيمات الحرفية، كالهاء عند اتصالها بالألفاظ والواو وهم وهما وغيرها، وما من شكٍّ فقد زاد بناء اللفظ على الأصول اللغوية في المعاجم، وقد رفع من طاقة استيعاب المعنى، بناءً على مبناه الصرفي والمعجمي، كلفظ الناس والكافرون، ونحاول من خلال هذه الدراسة اللغوية الكشف عن طاقة اللفظ بالتعاون مع دلالة العموم والجنس في اللام، واكتشاف الروابط بين الأدوات والأفعال وغيرها في زيادة الطاقة الاستيعابية للمعنى المطلوب.

الكلمات المفتاحية: لام العهد والجنس، سياق الأدوات، أحمال الأدوات، الأحمال الدَّلالية.

أهداف الدراسة:

جاء من أهداف الدراسة :

- الكشف عن لغة القرآن التي تحمل أسمى المعاني في أدق الألفاظ
- البحث عن حلول أشكلت الدارسين السابقين والمحدثين حول لام العهد والجنس وعلاقتها بالألفاظ القرآنية.
- فك وتحليل الألفاظ المشكلة في اللغة العربية بشكل عام وبالقرآن الكريم على وجه الخصوص من مشكلة التأويل العام، وبيان دلالتها.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث المراد حلها أو معالجتها في تداخل لام العهد ولام الجن عند المفسرين واللغويين من حيث ربطها بالمعنى والدلالة، إذ إنَّ بعضهم يرى لام الجنس قد أدت المعنى، في المقابل نجد بعضهم يحمِّل المعنى دلالة العهدية بناءً على السياق وهكذا.

أسئلة البحث:

- هل دلالة الكلمة ترتبط بالسياق؟
- هل هناك فرقًا بين لام العهد والجنس في كتاب لله من حيث الدلالة؟
- هل يؤثر اعتبار اللام للعهد أو للجس في إطلاق الأحكام، كالنور مثلا؟
- هل هناك رابطا بين القرائن والمعنى المراد في للفظ من حيث اعتبار اللام للعهد أم للجنس؟

المنهج في البحث:

اتبعت المنهج الوصفي التحليلي في الاجابة عن الأسئلة المطروحة، وذلك باستخدام نماذج من الكلمات في كتاب الله، ومحاولا البحث عن الكلمات التي فيها مسألة السياق قد ظهرت في المعنى، كالكتاب والنور وغيرها، ومبتعدا عن الأسلوب الإحصائي؛ ذلك أنَّ البحث لا يحتاج إلى قوائم إحصائية.

المقدِّمة:

تُعدُّ قضية الألفاظ في القرآن الكريم من أوسع النصوص من حيث استيعاب المعاني وحملها على أوجه؛ ذلك أنَّ النَّص القرآني من النصوص التي تستوعب المعاني في إطار السِّياق الاستعمالي والذي لا يخرج عن لغة العرب، ولذلك اتبعت المنهج الوصفي التحليلي لمعالجة مشكلة، ولك للتمييز بين المعنى الدال على المعنى الصحيح في ألفاظ القرآن التي جاء معرَّفة بأل، وقد كان بعضها له علاقة بأمور عقدية وأحكام تخصُّ الأمة الإسلامية وتحتاج إلى كشف وبيان، لذلك كانت للام التعريف بفرعيها العهد والجنس الدورٌ الرئيس في الكشف عن المعاني المراد ارسالها للمتلقي، أو السامع، وهذا الأسلوب في القرآن لا يخفى على الباحثين والدارسين في إطار نظرية السِّياق والبُعد التداولي الاستعمالي، فالفرق بين لام العهد ولام الجنس يكون من جهة المعنى، وأمّا اللفظُ فشيءٌ واحدٌ؛ وذلك أنّك إذا قلت: " الرجلُ "، وأردتَ العَهْدَ، فإنّه يخصّ واحدًا بعينه؛ ولا يكون معنى العهد إلا مع إنسانٍ في حديث ثالثٍ غائبٍ، ثم يُقْبِل الرجلُ فتقول: "وافَى الرجلُ"، أي الذي كنّا في حديثه وذِكْره قد وافى؛ والجنس يدّل على العُموم والكثرة، وقد أحاطَ بجميع الجنس، نحو: العَسَلُ حُلْوٌ، والخَلُّ حامضٌ"، فالعسلُ الشائعُ في الدُّنيا، المعروفُ بالعقل، ولا يحتاج إلى مشاهدة أو سؤال عنه، وجاء في قوله تعالى: { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} (1)، فصحّةُ الاستثناء من "الإنسان" تدلّ على أن المراد به الجماعة [1]،على أن اسم الجنس يختص بلام العهد"، نحو: رجلٌ، فهو شائع في أمته، ثم يختصُّ بواحد بعينه بدخول لام العهد، فتقولُ: هذا الرجلُ، [2]، ومنهُ: نِعْمَ الرجلُ زيدٌ، فالجنس كله ممدوح وزيد مندرج تحت الجنس؛ لأنَّه فردٌ من أفراده، وقد يكون الغرض منه المبالغة في إثبات المدح للممدوح، فجعل المدح للجنس الذي هو منهم، وهي أبلغ في إثبات الشيء للجنس؛ حتى لا يتوهم كونه طارئًا على المخصوص، والثاني أنَّه لما قصدوا المبالغة بل كان لأجله، وقيل مجازًا، فإذا قلت نِعْمَ الرجلُ زيدٌ، فقد جعلت زيدًا جميعَ الجنس مبالغةً، ولا يمنع مطلقًا بل إذا قصد به

(1 ابن يعيش، علي (643ه)،(2001م)، شرح المفصل للزمخشري، قدم له: إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ص56.

(2) دنقوز، شمس الدين أحمد (855ه)،(1959م)، شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف، ط3، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ص45.

الجنس جاز، وإذا قصد به العهد منع، لتخصيصه بزيدٍ، فنِعمَ الرجلُ جنسية لا عهدية [(3)]، ونحاول من خلال آيات الله أن نكشف عن الغموض والإبهام في بعض الألفاظ، محاولين تأصيل ذلك من خلال مجموعة من المصادر كالتفسير والمعاجم وكتب اللغة من نحو وصرف ولسانيات حديثة، فمن الألفاظ:

1- الكتاب: قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ) [النساء:136] فقد جاء اللفظ (الكتاب) في القرآن 250 مرة، بحيث تتنوع الدلالات في أغلب السِّياقات، وقد حاولنا معالجة اللفظ من حيث اسناده إلى أل التعريف، وقد ساق اللفظ من خلال السِّياق القرآني إلى إشارات جميلة أدت إلى الكشف عن مدلول الكتاب في كل آية، وهذه المرة حاولنا بناء اللفظ من حيث ارتباطه بأل العهدية والجنس، ولا ننكر محاولات المفسرين التي تصدرت السِّياقات اللغوية في هذا المجال، وما نحن عليه هو تعليل بعض الأقوال لديهم وترجيح المضامين الدالة علية من خلال ظنية القطع بالدلالة بحيث تقوى الدلالة وتُرفع بها طاقة اللفظ الاستيعابية لمدلولات أخرى، فلفظ الكتاب قد يقصد فيه القرآن الكريم، وهذا ما أشارت إليه اللام العهدية التي خصصت اللفظ ليعطي مدلولا معينًا، وقد يحتاج هذا الكلام إلى قرينة دلالية أو معنوية، وما أجده في ذلك هو قرينة لفظ (الرسول)، والتي أشارت إلى نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم-، وأمَّا الإشارة الثانية فكانت من الفعل(نَزَّل) والذي أشار إليه أغلب المفسرين والنحاة أنَّه جاء للدلالة على النُّزول الكامل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدُّنيا مرة واحدة، أو دفعة واحدة ، وفي قراءة أخرى جاء ب(نُزِّلَ) للمجهول، وفي أحد الأوجه كان بالتشديد (نَزَّلَ) [(4)]، وما أجده هو أنَّ الفعلَ بالتشديدِ أبلغُ منه بالهمزة (أنزَل)، وقد أشار ابن الجوزي بقوله: " لأنَّ الكُتُب المتقدمة كانت تنزل جملة واحدة، والقرآن نزل منجمًا ومفصلًا، آية بعد آية، وأحكامًا بعد أحكام،.... وهذا أبلغ وأشدُّ اعتناءً بمن أنزل عليه[(5)] ، وهذا القول وجدناه في قوله تعالى: (وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً)[الفرقان:32] ، إذً فيه تكرار وتكثير وأنَّ (نُزِّلَ) يأتي للنزول الأقرب، بخلاف (أنزل) التي دلَّت على ما كان للكتب السابقة، وذليل ذلك هو قوله: (آمنوا) الدَّالة على المسلم، فيما بنى البيضاوي الفعل (أنزَل) كـ(نزَّلَ) من باب (أخبرَ وخبَّرَ) ولا يناقض النزول بمرة واحدة [(6)] ، وقد يكون الإنزال بمعنى الدفعة ، التي منها (أنزل) ، وأمَّا الفعل (نَزَّل) التي تدلُّ على التدرج في التنزيل، وإن كان فيه انسلاخ عن معنى التدرج إلى التدافع، بقصد إرادة التدرج، ويرى ابن عاشور أنَّ الفرق لا يعدُ أن يكون من باب اللازم والمتعدي، وأن الأهمية تكون في زيادة التركيز على المعنى[(7)]، وتجدر الإشارة إلى أنَّ دراسة التعريف بأل لا يستقل بذاته؛ بل مرتبطٌ بوظيفة الأداة في اللغة، وعلاقة الأداة بالاسم والعناصر الأخرى[(8)]، ونحوه: أنجى ونجَّى، فالسرعة في قوله تعالى: (وأنجينا الذين آمنوا) فيستعمل أنجى، وكثيرا ما يستعمل القرآن لفظ نَجَّى للتريث والمهل بخلاف أنجى للسرعة، فصيغة (فَعَّل) للتكثير والمبالغة، بخلاف (أفعل) [(9)]، وهذا ما دفعنا بقول أنَّ أل التعريف قد أضافت نوعاً من التأكيد على المعنى ورفعت طاقته إلى أقصاها باتجاه المعنى المطلوب غير متناسين السِّياق اللغوي القرآني، فمثلا تجد علاقة الكلام في الآية كلها يرتبط بمقصودٍ واحد ترتبط به من حيث الدلالة وتؤدي كلُّ الدلالات نحوه، وهذا ما تقوم به الأداة، وأعتقد هذا ما حاول نعوم تشومسكي قوله في النظرية التحويلية التوليدية وأكده علماء اللغة العرب أمثال اسماعيل العمايرة وغيرة.

2- الأرض: قال تعالى: (وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) [الأعراف:129] الظاهر في الآية أنَّ اللفظ (الأرض) جاء في سياق الحديث عن قصة موسى عليه السَّلام، وأنَّ الله قد استخلف بني إسرائيل على أرضِ مِصر، أو أرض فرغون وملكه، على اعتبار أنَّ اللام جاءت للعهد، وقيل أيضا أنها أرض فلسطين فِي زَمَانِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فيفَتَحُوا بَيْتَ الْمَقْدِسِ مَعَ يُوشَعَ بْنِ نُونٍ،

(3) الصَّبان، محمد بن علي (1206ه)،(1997م)، حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.، ج3، ص43.

(4) النويري، محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم (857ه)، (2003م)، شرح طيبة النشر في القراءات العشر تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت، ج2، ص279.

(5) الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد (597ه)،(1422ه)، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، ج3، ص311.

(6) البيضاوي، عبد الله بن عمر (685ه)،(1418ه)، أنوار، التحرير وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج4، ص123.

(7) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (1393ه)، (1984م)،التحرير والتنوير، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، ج19، ص18.

(8) غراتشيا غايوتشان،(1980م)، أدوات التعريف والتنكير في قضايا النحو العربي، ترجمة: جعفر دك الباب، مطبعة الوحدة، دمشق، ص112.

(9) السامرائي فاضل صالح، (2005م)، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط3، دار عمار، عمان، الأردن، ص 64، 72.

وقولهم هذا كان حِينَ خَرَجَ بِهِمْ مُوسَى وَتَبِعَهُمْ فِرْعَوْنُ فَكَانَ وَرَاءَهُمْ وَالْبَحْرُ أَمَامَهُمْ[10]، فيما رأى بعضهم أمثال البيضوي وابن عطية أن المقصود في الأرض هو الدُّنيا على وجه العموم، فتكون اللام قد حملت دلالة الجنس العام من الأرض والأظهر[11] ، أمَّا ما يراه الرازي فقد توسع في دلالة الأرض من باب استحقاق كلّ من آمن بالله واتبع رسوله أن يكون له أرض الجَنَّة التي تجمع مواصفات الدارين الدُّنيا في الأرض والآخرة، وقد فتح الله عليهم بالنصر على الأعداء وهذا من فضل الله على بني إسرائيل الذي لم يقدروا معناه[12]، وعليه فإنَّ الله قد استخلف بني إسرائيل في الأرض بأن فتح عليهم بيت المقدس وأورثهم أرض مصر عندما حكمها يوسف عليه السَّلام، وأورثهم الآخرة لمن اتبع موسى ومن بعده من داوود وسليمان عليهما السَّلام، وبذلك أستطيع أن أجمع بين دلالة العموم والجنس في هذه الآية، وهنا لا ننكر آراء القدماء على اختلاف الأصول التفسيرية أو اللغوية، وما أجده هو قوة الرابط بين السِّياق والمدلول يحمل القول على كلا الدِّلالتين؛ مؤكدا استخلاف البشر في الأرض حسب سكناهم وانتصاراتهم، فموسى عليه السَّلام سكن مصر وحاول الخروج إلى أرض الميعاد وهي فلسطين، وقد جاء في لآية (127) في سورة الأعراف أنَّ (الأرض المقصودة هي أرض فلسطين (بيت لمقدس)، من باب التحريض على الثبات بعد موت داوود وسليمان، وباعتبار الاستخلاص يكون بالصلاح وعدم الفساد [13]، ومن أدوات الربط التي جذبت الدلالة صيغة (أوذينا من قبلُ ومن بعدُ) وهنا يقصد إيذاء فرعون ومن بعد (يوشع) وملكه للبيت المقدس، ووعيد الله لمن اتبع نهج نبيه واتَّبع إمامه، فالعيش الرغيد هو جزاؤهم، وهذا أيضا قال فيه الشوكاني[14]، فدلالة اللفظ بين العام (الجنس) والخاص (العهد) تعتمد على أثر الفونيم قد أضاف معنىً خاصًا يعتمد على دلالة اللفظ التي تحتمل الاتساع الاستعمالي للغة، فالأرض هي تخصُّ إذا وِجِد ما يخصها من قرائن وسياق والعكس بالعموم عندما تجدُ ما يوسع اللفظ إلى الإطلاق في الدلالة، واعتقدُ أنَّ الفونيم في الجدير بأن يحمل مسؤولية الدلالة، فالتعريف والتنكير من مُصوغات اتساع الدلالات في اللغة.

3- النَّاس: قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) [البقرة:8]، فقد جاء اللفظ (النَّاس) من اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْجُمُوعِ، جَمْعُ إِنْسَانٍ وَإِنْسَانَةٍ، عَلَى غَيْرِ اللَّفْظِ، وَتَصْغِيرُهُ نُوَيْسٌ. فَالنَّاسُ مِنَ النَّوْسِ وَهُوَ الْحَرَكَةُ، فقَالُوا: نَاسَ يَنُوسُ أَيْ تَحَرَّكَ، وَمِنْهُ أَنَاسَ مِنْ حُلِيِّ أُذُنَيَّ". وقيل: أمن نسي نَاسٍ نَسِيَ قُلِبَ فَصَارَ نِيسَ تَحَرَّكَتِ الْيَاءُ فَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا فَانْقَلَبَتْ أَلِفًا، ثُمَّ دَخَلَتِ الْأَلِفُ وَاللَّامُ فَقِيلَ: النَّاسُ، ومنه قولهم: نَسِيَ آدَمُ عَهْدَ اللَّهِ فَسُمِّيَ إِنْسَانًا[15]، وبعضهم كابن جني بنى اللفظ من أناسَ فحذفُ الهمزة جعل ألف (فُعال) تبدلُ إلى (ناس) على وزن (عال) [16]، وقيلَ أنَّ حذف الهمزة استلزم حضور أل التعريف في (النَّاس) عوضا بدليل ثباتها في : بالنَّاس، وللناس وغيرها، وبعضهم جمع الهمزة بأل فقالوا: الأناس، [17]، قال الشاعر:

إن المنايا يلطعـ ... ـن على الأناس الآمنينا[18]

فاللفظ جاء امتدادا لعناد اليهود وسوء تصرفهم اتجاه آيات الله ورسله، ودلالة العموم قد نالت من قول الرازي على اعتبار كل النَّاس دون حصر، ومستدلا بارتباط (مِن) وهي التي تفيد التبعيض) للتبعيض، وهنا النَّاس جاء بمعنى المنافقون من اليهود وغيرهم [19]، ومن اعتبرها على دلالة العَهدِ فقد بنى (مَن) الثانية على الموصلية بمعنى: الذي ادعى الايمان منهم، فرفع الحكم أن النَّاس هم فئة

---

(10) القرطبي، محمد بن أحمد(671ه)،(1964م)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم اطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ج7، ص263.

(11) ابن عطية، الأندلسي أبو محمد ،(1422ه)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، ص442، وينظر: البيضاوي ، أنوار التنزيل، ج3، ص30.

(12) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (606ه)، (1419ه)، تفسير القرآن العظيم (مفاتيح الغيب)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى البار، السعودية، ج14، ص342.

(13) الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف (745 ه) (1420ه)، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، ط1، دار الفكر، بيروت، ج5، ص146.

(14) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1250ه)،(1414ه)، فتح القدير،ط1، دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب، بيروت، ج2، ص269.

(15) مختار، أحمد عمر، (2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ج1، ص128، وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1، ص192- 193.

(16) ابن جني، أبو الفتح عثمان(392ه)، الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج2، ص287.

(17) الثمانيني، شرح التعريف ، (حذف الهمزة)، ج1، ص399، قال الشاعر:

(18) البغدادي، عبد القادر بن عمر(1093ه)،(1997م)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط4، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج2، ص280.

(19) الرازي، مفاتيح الغيب، ج1، ص28.

محددة ، وهذا الربط هو من أسس التداولية التي تجمع بين الجار (مِن) بالموصول (مَن) في الآية ليدل أن الفعل (يقول) من الأفعال التي تستوجب الادعاء كنوعٍ من الأفعال الكلامية التي تتطلب استحضارا للواقع السِّياقي، فالقول يكون بداية من أناس محددين ولهم فكرة تحتاج إلى جهد فكري دفعهم إلى الادعاء ولهم تأثير على الآخرين، كنوعٍ من التأثير على الطرف الآخر وهو المستمع، فتكون النتيجة منه أنَّ بعضهم لن يكون مؤمنًا، لذلك بناء (مِن) كان للتبعيض فكانت اللام للعهد، أو بناءها على بيان الجنس، فكان من فئة معينة[20]، فيما يرى البيضاوي أنَّ لفظ (النَّاس) أصله أناس لقولهم: إنسان وأنس وأناسي بحذف الهمزة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يُجْمَع بينهما، وأنَّ اللام فيه للجنس، على تقدير: ومن النَّاس ناسٌ يقولون. أو للعهد والمعهود بتقدير: هم الذين كفروا، على اعتبار (مَن) موصولة، وهم: ابن أَبَي وأصحابه ونظراؤه[21]، وما أجده أنَّ العهد أقرب منها إلى الجنس بقولين، أولها قوله تعالى: { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ }[البقرة:6] فجعل الختم على القلوب فلا مجال لإيمانهم، والثانية أنَّ سبب نزول الآيات كان بحق المنافقين، والثالثة أنَّ (مِن) حرف جرٍ يدل على التبعيض وهو أقرب من بيان الجنس، ولذلك تجد أنَّ لفظ النَّاس ورد كثيرا وقد تقادم عليه المفسرون بالتأويل[22].

4- الأنهار: قال تعالى: (أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ) [البقرة:25]، جاء اللفظ (الأنهار) معرَّفًا بأل التعريف التي قد تباينت الآراء حولها، فالأنهار هي المياه الجارية لمسافة بعيدة نسبيًا، على تقدير الآية: تجري من تحت أنهارها الماء[23]، وأنَّ دلالة اللام جاءت للعهدِ، مستدلين بذلك على تقدير الآية وهو أنَّ الماء هو المقصود بالأنهار، ولكنَّه أضاف الفعل لها على نحو: بلدٌ آمن وحَرَمٌ آمن إضافة المجازِ، على أنَّ الذي يجري تحت الأشجار هو الماء أو الأنهار[24] ، فالأنهار هي جمع نَهْر، نحو: جَمَل أجمال، وإنْ جازَ جمعه على معناه الجريان السريع من الماء على وجه الأرض، وهذا من اتساع المجاز، نحو: أنهرت الدمَّ، إذا وسَّعت مجراه[25]، وقيل أنَّ جريان الأنهار تحت مجالسها وغرفها وما يعلو منها[26]، وهو غير آسنٍ، كالنيل والفرات في الدُّنيا، وبعضهم أجاز المجازَ فيه من باب التقريب فجعلة على الإضمار (ماء الأنهار)، وهذا ما دفع البيضاوي لاعتبار اللام للعهد بمعنى الماء الجاري[27] ، فإرجاع الضمير إلى الأشجار دون الحاجة إلى إضافة محذوف (الماء)، أو (من تحت أشجارها)، وهذا على نحو: فاحترقت، بتقدير: احترقت الأشجار أو الحدائق، وعلى هذا بنى الشوكاني رفعة الأشجار بأنَّها من صفات الجَنَّة التي لا يحتاج إلى إضمار، وأنَّ اللفظ ظاهرٌ ولكنَّه جاء بجزءٍ منه كالنخيل والأعناب والأنهار؛ لكونها أكرم الشجر [28]والقول الثاني أنَّ اللام كانت للجنس، أي اسم جنس لماءٍ جارٍ فوق الأرض بغض النظر عن طبيعته وكمِّه[29].

وما أرى في هذا اللفظ إلا أنَّه سبحانه قد ضرب لنا من خيرات الجَنَّة أشياء تقاربها في الدُّنيا؛ ذلك لعلمه سبحانه قدرة العقول ومدى تعلقها بأمور الدُّنيا، لذلك بنى لنا أمثلة من الجَنَّة أمثلة تحاكي الوقع الحقيقي ، فالماء والأنهار والزرع غيره هو من رزق الله وأن ما ينتظرنا في الآخرة ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر، فهو فوق التصور، ولذلك أجد أنَّ اللام تكون للجنس أقرب منها للعهدِ والمألوف عندنا.

5- الكافرون: قال تعالى: (فَلَمَّا جاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكافِرِينَ)[البقرة: 89]، جاء اللفظ كثيرا في القرآن بصيغة جمع المذكر السالم رفعًا أو نصبًا، ولا ننكر أثر أسباب النزول والتي توضح على من نزلت الآية التي بها اللفظ فتدلَّ عليه، وقد اخترتُ هذا المثال من بين المواضع لبساطته وسهوله الوصول إلى مدلولٍ واضح، وفي هذا المثال نجد أن أصل اللفظ هو(كَفَرَ) من

(20) ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن (769ه)، (1980م)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط20، دار التراث، القاهرة، سعيد جودة السحار وشركاه، ج3، ص15.

(21) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج1، ص43.

(22) ينظر بتوسع: البيضاوي، أنوار التنزيل،46، ج4، ص189، الرازي، مفاتيح الغيب، ج2، ص37.

(23) ابن فرحون بدر الدين أبو محمد عبد الله ،العُدّة في إعراب العُمدَة، تحقيق: مكتب الهدي لتحقيق التراث (أبو عبد الرحمن عادل بن سعد)، ط1، دار الإمام البخاري – الدوحة، ج3، ص515.

(24) ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (276ه ،غريب القرآن ، لمحقق: سعيد اللحام، ج1، ص43-45.

(25) إسماعيل بن محمد بن الفضل (535ه)،(1995م)، إعراب القرآن للأصبهاني، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض)، ج1، ص180.

(26) الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر (817ه)،(1996م)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ج5، ص129.

(27) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج1، ص60.

(28) الشوكاني ، فتح القدير، ج1، ص330.

(29) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج1، ص61.

كَفَرَ دِرْعَه أي غطى درعه ثوبه[30] ، وهو اسمٌ يطلق على أنواع الذنوب كالشرك والجحود واستحلال ما حرَّم الله[31]، فيما اقترن اللفظ بفعله وهذا دليل تأكيد فعلِ الكُفْرِ، ولذلك استفرد البيضاوي باعتبار اللام فيه للعهدية، إشارة إلى اليهود الذين كفروا بما جاء به موسى عليه السَّلام من عند الله، وهذا اللفظ يشبه لفظ (الكتاب) يدل على التوراة في نفس الآية، و الراي الثاني هو اعتبار اللام للجنس، وذلك استنادا لاعتبار اطلاق الكُفر على اليهود وغيرهم، فالكفر يطلق على كل من كَفَرَ بالله وجحد ما أنزل من الكُتب والرسُل[32] ، قد زاد أهل اللغة اعتبار اللام هو للمسلمين كما خصَّ الكتاب بالقرآن؛ لكثرة الدلالة عليه وسياق أغلب الآيات الواردة في كتاب الله [33]، وقد أيد الألوسي البيضاوي في بيان الرأيين[34].

والمثال الثاني والذي درست فيه لفظ (الكافرين) هو قوله تعالى: (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكافِرِينَ) [الزمر:32] فقد جاء الخطاب للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، بقوله تعالى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) [الزمر:30]، فورود اللفظ بالتعريف للعهدِ والمقصود به من كفرَ من أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم كفار قريش ومن أعانهم من اليهود والعرب من النصارى، فكان المصير المثوى للجاحدين في نار جهنم [35]، والوجه الثاني من الدلالة كان على دلالة العموم، أي كلُّ من كفر بالله من الأمم سواء اليهود بالتوراة وموسى، والنصارى بالإنجيل وعيسى عليه السَّلام، والمسلمين بالقرآن ونبوة ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ [36].

6- الذَّكر والأنْثى: قال تعالى: (فَلَمَّا وَضَعَتْها قالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُها أُنْثى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِما وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثى وَإِنِّي سَمَّيْتُها مَرْيَم)[آل عمران:36]، جاء اللفظان (الذكر والأنثى) في سياق الآية التي تتحدث عن رغبة أم مريم عليها السَّلام زوج عمران من أن يكون المولود القادم ذكرًا لا أنثى، لأسبابٍ منها القدرة على حمل مسؤولية الدعوة والقائم على خدمة بيت العبادة في قومه، وكذلك عادة النبوة أن تكون في الذكور لا الإناث، ومناط الحديث عن الذكورية والأنوثة كان في سياق النبوة لذلك كان لابد من تحديد المقصود منهما، فكلاهما من الله على حدِّ السواء، وكلاهما مأموران من الله بالعبادة، وإن كان بينهما فوارق جسمانية وسلوكية، وقد شاء القدر أن تكون مريم ممن يكلف بمهمة عظيمة تفوق قدرتها البدنية والسلوكية في قومها، فقد كان استثناء من الله اجلالا وتكريمًا لها على نساء العالمين، فالعهدية في أل تكمن في بيان الذكر من الرجال والأنثى بمريم عليها السَّلام، فهي هبة من الله دون سواها من النساء، لما تحتاج الأنثى إلى فضل حفظ وتعاهد، والقيام بأسبابها ما لا يحتاج الذكر [37]، وقد استند هذا الاحتمال على دليل تسمية مريم في لغتهم بمعنى العابدة، وقد قصد بقوله: ليس الذكرُ الذي طلبَتْ كالأنثى التي وُهِبَتْ لها[38] ، وقد يكون المقصود به أيضًا أن ما وهبتَ وما كلفتَ سيكون بمعهود ما كان يقوم به الذكرُ من أعمالٍ وإن كان بجنس الأنثى، بقوله: " لأنهم لم يكونوا يحرّرون لخدمة بيت المقدس إلاّ الذكور فلذا كان التعريف فيه عهدياً " [39]، وقيل أيضًا: في قولها: { نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا} أنَّ ذلك كان خاصًا بالذكور، والأنثى في قولها: { رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى }[40] وأمَّا الجنس في أل تكمن من اعتبار اللام لدلالة أنَّ الذكر كالأنثى سيان لا فرق بينهما[41]، وتقديم الذكر على الأنثى كان من باب الأفضل من حيث المهمة الموكل بها، ولأنّ الذكر يتصرف في

(30) ابن فارس، أحمد بن زكريا،(395ه)، (1979م)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ط1، دار الفكر، ج5، ص191.

(31) مختار، أحمد عمر، (2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، بيروت، لبنان.، ج1، ص454.

(32) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج1، ص93.

(33) الأخفش الأوسط، أبو الحسن المجاشعي بالولاء(215ه)، (1990م)، معانى القرآن ، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ص28.

(34) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (1270ه)،(1415ه)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص320.

(35) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج5، ص42، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص255.

(36) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج5، ص42.، وينظر: القصَّاب، أحمد محمد بن علي (360ه)، (2003م)، النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، تحقيق: علي بن غازي التويجري، ط1، دار النشر: دار القيم - دار ابن عفان، الرياض، السعودية، ج1، ص310.

(37) الماتوريدي، محمد بن محمد بن محمود(333ه)، (2005م)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المحقق: د. مجدي باسلوم، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ج2، ص358.

(38) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص356.

(39) ابن الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد (1069ه)، حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، دار صادر – بيروت، ج1، ص304.

(40) علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (900ه)، (1988م)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط1، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ص167.

(41) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج2، ص14.

الخدمة والأنثى خلافه[42]، وقيل هو تشبيه مقلوب ، أَيِ الذَّكَرُ الَّذِي طَلَبَتْهُ كَالْأُنْثَى الَّتِي وُهِبَتْ لَهَا[43]، وقيل :" القاعدة في الذم تشبيه الأعلى بالأدنى، لأن الذم مقام الأدنى، وفي المدح تشبيه الأدنى بالأعلى، لأن الأعلى ظاهِرٌ عليه، فيقال في المدح: حصى كالياقوت، وفي الذم: ياقوت كالزجاج، وكذا في السلب " [44]، وما أجده أنَّ وجود دلالة القرينة، أو وجودها في ضمن فرد معين، أو ضمن فرد مبهم، أو ضمن جميع الأفراد هو ما يعطي أولوية التمييز بين العهدية والجنس، وأرى ذلك في قربها إلى العهدية دون الجنس، فاستواء الذكور بالإناث لا يستوي، وكذلك قصة مريم بنت عمران هي موقف إعجازٍ على قدرة الله سبحانه على تشكيل الجنين دون ما هو مألوف من البشر، ولذلك تتمُّ المعاني ويكتمل التصوّر البلاغي البياني في آيات الله.

7- السَّلام: قال تعالى: (وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا)[مريم:33]، لفظ (السَّلام) اسم جنس من الفعلِ (سلَّمَ)، فيقال: سلَّم يسلمُ تسليمًا وسلامًا، ومنه: مُسالمة، ومُسلِم وسالِم ومُسالم، وقال محمد بن يزيد أنَّ السَّلام فيه أربعة أقوال: سلَّمتُ سلامًا وجمعه سلامة، ومنها السَّلام اسمٌ من أسماء الله، ومنه السَّلام نوعٌ من الشجر[45]، لقد جاءت الآية في حقِّ عيسى عليه السَّلام في كونه معجزة النبوة التي قامت على أمه مريم ورعايتها له دون أب أو زواج مألوف بين البشر، وقد عَرَّضت (عِرضَها) لألسن الناس طاعة لله وامتحانًا منه، وفحوى الكلام من اللفظ (السَّلام) على أمرين، هما: أنَّ المقصود به هو عيسى عليه السَّلام [46]، وقد أشارت القرائن من خلال الفعلِ (سَلَّم) ومن خلال سياق الكلام في الآية التالية (ذلك عيسى) تدلُّ على العهدية وتخصيص المقصود باللام، وبعضهم حملها على التعريض باللعن على كلِّ من اتهم مريم عليها السَّلام بالزِّنا، وقد تكون بمعنى(كلُّ السَّلام عليَّ وعلى أتباعي أو من اتبعَ الهُدى) [47]، والأمر الثاني حمل اللام إلى جنس السَّلام ، أي الاسم الذي يطلق على الطمأنينة، ومنها اسم الله (السَّلام)، دار السَّلام وهي الجَنَّة، والتحية المعروفة [48]، أمَّا الفعل (سَلَّم) جاء بمعنى أعطى، فقالوا: سَلَّم الشيءَ أي أعطاه ومنه خَلَّص، فقالوا: سَلَّمه الله من كل شيء، أي خلَّصَه وأخرجه [49]، وقد قدَّمه الرازي بذلك أن اعتبر السَّلام من السَّلامة[50]، وهذه السَّلامة يمكن اعتبارها سلامة من كل ما يعكرُ صَفو المرء، ومنه ترك الشيطان وعدم ضرره، وعدم الغواية في الدارين، فيما عبَّر البيضاوي عن لفظ (السَّلام) واقرانه باللام يحمل دلالات، أولها: لام الجنس، جنس السَّلامة من كل شرٍّ وخاصة غواية الشيطان[51]، وهذا القولُ هو عند أغلب المفسرين؛ لاعتبار الظاهر في القولِ، وحسن السَّلامة من التصادم على الأقوال التي قد تتعرض لهجوم الخصوم، والبيضاوي هو من أبرز الشخصيات الذي كان يطلب السَّلامة من كثرة الكلام والخصوم، فكان يفضل نقل الأقوال بإيجاز مختصر ويترك الشائك منها، والقول الثاني في اللام هو أنَّها من باب الاستغراق، أي السَّلامة من كل شرٍّ، ومنها تبرئة أمه مريم عليها السَّلام من واقعة الزنا [52]، والقول الثالث كان اعتبار اللام للعهد باعتبار قوله تعالى: (ذلك عيسى ابن مريم)[53]، وبعض العلماء يرى أنَّه لا فرق بين لفظ السَّلام وسلام النكرة؛ وذلك لدلالة المصدرية على معنى الحدث وهو السَّلامة[54].

---

(42) الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار(377هـ)، (993م)، الحجة للقراء السبعة، لمحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، ط2، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ج3، ص33.

(43) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد (794هـ)، (1957م)، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ج4، ص88.

(44) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (: 911هـ)، 0 1988م)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، ص207.

(45) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (711هـ)، (1414م)، لسان العرب، ط3، دار صادر – بيروت، ج12، ص289.

(46) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج2، ص536.

(47) الرازي، مفاتيح الغيب، ج20، ص236، وينظر: الزمخشري، الكشاف، ج3، ص15.

(48) الأزهري، محمد بن أحمد أبو منصور (370هـ)،(2001م)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج3، ص77.

(49) مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص1100.

(50) الرازي، مفاتيح الغيب، ج21، ص236.

(51) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج4، ص10.

(52) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج4، ص10.

(53) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج4، ص11.

(54) العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين(616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، المحقق : علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه، بيروت، لبنان، ج2، ص874.

الناظر إلى اللفظ يجد أنَّ الدلالة قد تطورت من خلال مرورها عبر الزمن اللغوي، بتخصيص الدلالة أو تضييق المعنى، أو تعميم الدلالة وتوسيع المعنى، أو انتقال الدلالة، رقي الدلالة، انحطاط الدلالة، فمن الحفظ والرعاية إلى الأمان ثم السَّلامة من كل شرٍّ إلى التحية في الاسلام، ونحوها الصلاة وغيرها، فالتطور يضيق ويتسع حسب الاستعمال للفظ.

8- النُّور: قال تعالى: (وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الأعراف: 157] جاء اللفظ بمعنى الضياء، فقالوا: نارَ وأنارَ ونورًا وإنارة واستنارَ بمعنى أضاءَ [55]، وهو اسم جنسٍ من المصدر إنارة، وهو ضدُّ الظلام، فقال تعالى: (ولا الظلمات ولا النور)، ويكون مجازًا بمعنى الهداية والصلاح، فقالوا: فُلان على نورٍ، أي على هداية وصواب، وجازَ فيه المصدرية في كونه على معنى ذي النُّورِ[56]، ويأتي بمعنى الحقِّ، فقالوا: " أي اتبعوا الحقَّ الذي بيان في القلوب كبيان النور في العين، وهو الذي يبين الأشياء ويبري الأبصار[57]، وأمَّا اللام فقد رأى المفسرون فيها رأيين، أولها: العهدية، والمقصود به هو النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فالنور محمد وسميَ دينه نور[58]، وجازَ فيه العهدية بمعنى (القرآن)، بقرينة قوله تعالى: (الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ)، أي اتبعوا القرآن الذي أنزِل معه[59]، وفي سورة التوبة (32) جاء بمعنى الإيمان، وفي سورة الزمر(69) بمعنى عدل الله، وفي سورة نوح بمعنى الضياء، وبمعنى النهار في الأنعام، وسورة النور بمعنى المعرفة [60]، ومن الملاحظ أنَّ المعنى المحوري الذي جمع بين هذه المعاني كان الإضاءة أو الإنارة، وقد رجَّح البيضاوي العهدية في اللفظ على دلالة القرآن، وهو الأقرب مدلولا، فهو الهادي والنور المبين، والمُظهِر لغيره والكاشف عن جميع الحقائق الدينية والدنيوية [61] ، والوجه الآخر هو لام الجنس الدال على العموم في الدلالة، أي أنَّ النُّور هو الهداية من كتاب الله وسنة نبيه وشرع من بعدهم من الحقِّ [62]، وهذا ما أرجحه من الدلالة وذلك لبُعد النظرِ في معنى النور، فكلُّ ما جعل المرء على هداية وحقٍّ هو نور وإضاءة للبشرية من ظلمات الجهل والكفرِ والطغيان، بل أجد تطور اللفظ ووصوله لهذا الحدِّ هو من أسمى الغايات لدى اللغة وحُسن استعمالها في توجيه المعنى إلى أقرب دلالة بسياق واضح يسمح للأداة (أل) أن تصل إلى وظيفة سامية وهي الإفهام ووضوح المعنى المراد، ومن ناحية أخرى فإنَّ دلالة العموم هي أقرب من باب دفع الشبهات عن دين ممن هم يتربصون به من حيث إفراد القرآن وحده كمشرعٍ ومصدرٍ أساس وقد انفرد بالأحكام دون سواه، وهذا منهج المغرضين والملحدين ودعاه الباطل من العلمانية والمتزندقة، فسلطة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في نظرهم لا تعني شيئًا وحاش الله ذلك، فقد حث الله في كتابه على طاعة الرسول فيما أمر واتباع أوامره، واجتناب نواهيه، واتباعه من طاعة الله، وخير دليلٍ على ذلك أنَّ بعض الأحكام لم تشرح في كتاب الله، بل فصَّل بها النبي في سننه، كالصلاة و القصاص والزكاة وغيرها، بل إنَّ بعض أفعال وأقوال الصحابة وافقت شرع الله فصارت جزءًا لا يتجزأ من الشرع، فالعُرف وسنن الصحابة من مكونات الدين الحنيف[63].

إنَّ الحديث يطول في آيات الله، وما درسناه كان جزءًا بسيطًا من كلمات حملت أحمالًا دلالية وسياقية قرآنية، فحواها التمييز بين لام العهد والجنس، من حيث الدلالة والاستعمال، وأثر السِّياق اللغوي في الكشف عن مَضان اللغة في طيات كتاب الله وتفاسيره وكتب اللغة والمعاجم، وقد دُرست عند بعضهم، وما زاد في بحثنا هو زيادة التأكيد على قوة المعاني والدلالات في أدوات اللغة وروابطها، فالنور والكتاب والأنهار والأرض وغيرها من الألفاظ بغض النظر إلى فحوى الدلالة للام هي اسم جنس يطلق على شيء، ولكنَّ اللام ببساطة تركيبها جعل منها إشارات لغوية مضيئة في سطور كتاب الله القويم.

ظهرَ لنا من خلال البحث بلاغة القرآن الكريم، وأساليبه اللغويَّة، التي لم تدرس، أو التي تحتاج إلى توسع في الدراسة، وما من شكٍّ أنَّ البيضاوي كان صاحب أسلوبٍ ظاهرٍ لا يحاول إخفاء محتوى الأفكار في طيَّات التأملات، فهو صاحب مدرسة الأخذِ بما سبقه من آراء، ويختصر الأقوال بأبسط العبارات ولا يتعارض معهم في تأويل النصوص مخافة الوقوع في شَرك العقائد والنُّفوس المتربصة بالمفسرين، وقد أفضى تفسيره إلى الكثير من القضايا اللغوية الدَّقيقة والحسَّاسة في كتاب الله.

---

(55) الفراهيدي الخليل بن أحمد (170ه)،(1980- 1985م) العين، المحقق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ج8، ص275.

(56) ابن يعيش، شرح المفصل، ج1، ص48.

(57) ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص241.

(58) الرازي، مفاتيح الغيب، ج2، ص263.

(59) الرازي، مفاتيح الغيب، ج15، ص382.

(60) الرازي، مفاتيح الغيب، ج22، ص37.

(61) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج3، ص37.

(62) نظر: البيضاوي، أنوار التنزيل، ج3، ص37، وينظر: النسفي، أبو البركات عبدالله،(1998م)، تفسير النسفي(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه، يوسف بديوي، راجعه: محي الدين مستو، ط1، دار الطيب، بيروت، ج1، ص610.

(63) للتوسع في ذلك : مناهج جامعة المدينة العالمية، الدفاع عن السنة، كود المادة: GUHD5303، المرحلة: ماجستير، ج1، ص77.

الخاتمة:

خَلُص البحث إلى جملة من المسائل والتوصيات منها:

1- اللام العهدية والجنس من المسائل اللغوية المرتبطة بمدلول الآيات الكريمة وتنقل الألفاظ من دلالة الخصوص إلى دلالة العموم والعكس كذلك، نحو الكتاب، والنور، والحقَّ.

2- ارتباط السِّياق اللغوي بالسِّياق القرآني عزز مكانة الدلالة وعمقها في ضَوء المعنى ونظريته، والقائمة على أنَّ الأفكار موجودة في كل مكان والمعنى هو ما يكشف عنها، وغير مُنفكة عن سياقها اللغوي.

3- أصول اللغة دائما تعطيك بعض الايضاحات والتصورات المبدئية حول معرفة معنى اللفظ، غير متناسين دور التطور اللغوي والتحولات الناتجة عن أثر الاستعمال الواقعي للغة، كالنور والسَّلام، والصلاة.

4- اللفظ قد ينتقل من الحقيقة إلى المجاز، وقد نالت لام العهد والجنس منه نصيبا لا بأس به، محاولا عدم الانفصال عن المعنى المحوري، وسبب هذا التحول التوسع اللغوي في الاستعمال، وطاقة اللفظ الاستيعابية لمخزون المعاني المطروحة فيه، كالسَّلام والنور.

5- التأصيل النحوي والصرفي من ضروريات الألفاظ ، ذلك أنَّ الموقع النحوي والقوالب الصرفية تُعدُّ من القرائن التي تسهل سير اللفظ باتجاه المعاني وسياقها المعرفي، كالسَّلام والكتاب والنَّاس.

6- القرائن اللفظية واللغوية السابقة واللاحقة لها دورٌ كبير في الكشف عن ترجيح المعاني والدلالات في اللام العهدية والجنس، كما في الفعلِ (أنزل ونَزَّل) في (الكتاب) واسم الاشارة (ذلك) في (السَّلام).

المصادر والمراجع:

- الأخفش الأوسط، أبو الحسن المجاشعي بالولا، (215هـ)، (1990م)، معانى القرآن ، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الأزهري، محمد بن أحمد أبو منصور (370هـ)،(2001م)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل (535هـ)،(1995م)، إعراب القرآن للأصبهاني، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، ط1، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض).
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (1270هـ)،(1415هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المحقق: علي عبد الباري عطية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف (745 هـ) (1420هـ)، البحر المحيط في التفسير، المحقق: صدقي محمد جميل، ط1، دار الفكر، بيروت.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر(1093هـ)،(1997م)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط4، تحقيق وشرح: عبد السَّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر (685هـ)،(1418هـ)، أنوار، التحرير وأسرار التأويل، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان(392هـ)، الخصائص، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد (597هـ)،(1422هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ابن الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد (1069هـ)، حاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، دار صادر – بيروت.
- دنقوز، شمس الدين أحمد (855هـ)،(1959م)، شرحان على مراح الأرواح في علم الصرف، ط3، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (606هـ)، (1419هـ)، تفسير القرآن العظيم (مفاتيح الغيب)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، مكتبة نزار مصطفى البار، السعودية.
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد (794هـ)، (1957م)، البرهان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
- السامرائي فاضل صالح، (2005م)، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط3، دار عمار، عمان، الأردن.

- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (: 911هـ)، 0 1988م)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1250هـ)،(1414هـ)، فتح القدير،ط1، دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب، بيروت.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (1393هـ)، (1984م)،التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس.
- ابن عطية، الأندلسي أبو محمد ،(1422هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبدالسَّلام عبدالشافي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن (769هـ)، (1980م)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط20، دار التراث، القاهرة، سعيد جودة السحار وشركاه.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين(616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، المحقق : علي محمد البجاوي، الناشر : عيسى البابي الحلبي وشركاه، بيروت، لبنان.
- علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (900هـ)، (1988م)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط1، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان.
- غراتشيا غايوتشان،(1980م)، أدوات التعريف والتنكير في قضايا النحو العربي، ترجمة: جعفر دك الباب، مطبعة الوحدة، دمشق.
- ابن فارس، أحمد بن زكريا،(395هـ)، (1979م)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السَّلام محمد هارون، ط1، دار الفكر، القاهرة .
- الفارسي أبو على الحسن بن أحمد بن الله(377هـ)، (993م)، الحجة للقراء السبعة، لمحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، ط2، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت.
- الفراهيدي الخليل بن أحمد (170هـ)،(1980- 1985م) العين، المحقق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت
- ابن فرحون بدر الدين أبو محمد عبد الله ،العُدّة في إعراب العُمدَة، تحقيق: مكتب الهدي لتحقيق التراث (أبو عبد الرحمن عادل بن سعد)، ط1، دار الإمام البخاري – الدوحة.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر (817هـ)،(1996م)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم (276هـ ،غريب القرآن ، لمحقق: سعيد اللحام.
- القرطبي، محمد بن أحمد(671هـ)،(1964م)، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم اطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.
- القصَّاب، أحمد محمد بن علي (360هـ)، (2003م)، النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، تحقيق: علي بن غازي التويجري، ط1، دار القيم - دار ابن عفان، الرياض، السعودية.
- الماتوريدي، محمد بن محمد بن محمود(333هـ)، (2005م)، تفسير الماتوريدي (تأويلات أهل السنة)، المحقق: د. مجدي باسلوم، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان.
- مختار، أحمد عمر، (2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، بيروت
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (711هـ)، (1414م)، لسان العرب، ط3، دار صادر – بيروت.
- النسفي، أبو البركات عبدالله،(1998م)، تفسير النسفي(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه، يوسف بديوي، راجعه: محي الدين مستو، ط1، دار الطيب، بيروت.
- النويري، محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم (857هـ)، (2003م)، شرح طيبة النشر في القراءات العشر تقديم وتحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت.
- ابن يعيش، علي (643هـ)،(2001م)، شرح المفصل للزمخشري، قدم له: إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.